

المقياس: فلسفة التاريخ و الحضارة

المستوى: أولى ماستر

المحاضرة: السادسة

عنوان المحاضرة: فكرة نهاية التاريخ عند هيجل و كارل ماركس و فوكوياما

الأستاذة: ف. شرماط

لقد اتجهت جل التفسيرات الفلسفية إلى إعتبار التاريخ مجموعة من الأحداث المتعاقبة و المتطورة، فهو عملية تطورية تخضع لحركية ديناميكية تعكس النشاط الإنساني عبر مختلف العصور، و في نفس الوقت إجتهدت تفاسير الفلاسفة على أن التاريخ في حركيته قد تتراجع إلى الخلف و قد تتقدم إلى الأمام وفقا لسياق الأحداث المرتبطة بهذه الحركية، لذلك نجد ابن خلدون يضع دورة تعاقبية للصيرورة التاريخية و يعتبر أن نهاية كل مرحلة تعلن بصورة حتمية بداية مرحلة جديدة لاحقة لها، غير أن التصور الحديث و المعاصر لبعض الفلاسفة يرى أن هناك نهاية حتمية للتاريخ، لأن المسار التاريخي للوجود الإنساني و وجود العالم لا بد أن ينتهي في مرحلة تعجز عن توليد حالة جديدة تتجاوز المرحلة النهائية، و من الناحية الفكرية يعتبر الفيلسوف الألماني هيجل رائد فكرة النهاية في التاريخ إلى جانب كارل ماركس و في العصر المعاصر المفكر الأمريكي فرانسيس فوكوياما، ما المقصود من نهاية التاريخ؟ و ما الذي يميز نهاية التاريخ لدى هؤلاء الفلاسفة

أولا: فكرة نهاية التاريخ:

تشير كلمة نهاية التاريخ إلى أن المسار التاريخي للأحداث و الزمن لا بد أن يصل إلى غاية معينة تمثل الهدف الأسمى لمصير الإنسان و العالم، و من الناحية الأصلية لفكرة نهاية معرفة المسار معرفة المسار معرفة المسار معرفة المسار معرفة المسار معرفة المسار معرفة المسار التاريخ فإنها تعود إلى التفسير الدينية التي تعلن سلفا بنهاية الإنسان و العالم و الكون بصفة عامة و هذا ما نجده في مختلف النصوص الدينية (الإسلامية، المسيحية و اليهودية) من هنا يمكن القول أن الإيمان بوجود غاية للتاريخ يعني الإقرار بوجود نهاية للتاريخ بمجرد بلوغ هذه الغاية، على الرغم من التطور الدلالي لفكرة نهاية التاريخ حيث انتقلت من التأطير الديني للفكرة إلى التأطير العقلي لها إلا أن معنى نهاية التاريخ يبقى يدل على: " معرفة مسار التاريخ و وض غاية له و ان اصل هذه الفكرة جاءت من الاديان السماوية و من ثم انتقلت الى الفكر الفلسفي الحديث مع اختلاف الرؤيتين الدينية و الفلسفية لفكرة نهاية التاريخ التي ترتبط بفكرة التاريخ الشمولي." من كتاب نهاية التاريخ (دراسة تحليلية نقدية للمفهوم حضوره المعاصر)، قيس ناصر راهي.ص20

من الناحية الفلسفية يرى الفيلسوف الألماني ايمانويل كانط أن نهاية التاريخ تكمن في ذلك التصور العام لمجتمع إنساني تحكمه القوانين و الذي يتأسس على قيم الحق و الحرية و الديمقراطية ففي مقاله المختصر " نظرة في التاريخ العام بالمعنى العالمي" يبين أن مسار التاريخ و غايته التي يريد تحقيقها من خلال بلوغ مجتمع مدني يحترم القوانين و الدستور و يتمتع بالحرية و روح المسؤولية. لقد أبعد كانط فكرة نهاية التاريخ من الدلالة الدينية إلى الدلالة الفلسفية، و بذلك يكون قد عبد الطريق لفكرة النهاية التي رف بها هيجل في ما بعد.

ثانيا: فكرة نهاية التاريخ عند هيجل:

يعرف عن الفيلسوف هيجل أنه أراد من خلال فلسفته تحقيق الوحدة بين الفكر و الواقع " و الشكل و المضمون على نحو يضمن الجمع بين هذه الأطراف و تجاوزها في مركب أعلى ففلسفة هيجل كانت في نظره مركبا يضم كل ما سبقها لا في ميدان الفلسفة فحسب بل في كل ميادين نشاط الروح الإنسانية" من كتاب هيجل في ميزان النقد، فؤاد زكريا، ص 1

يذهب هيجل إلى أن روح التاريخ لن تتحقق إلا إذا إكتمل الوعي الإنساني و بلغ مرحلة الكمال و الشمولية،و يبرر هيجل هذه الفكرة بالمنطق الجدلي حيث تكتمل صورة التاريخ عندما تتجاوز الحالة التاريخية المكتملة نقيضتها التي تدخل معها في صراع و تغلب احد الحالتين هو الذي يفرض بقاءه كحالة تاريخية راهنة.

و لذلك يمكن إعتبار أن ما قدمه هيجل في فلسفة التاريخ يقوم أساسا على الوعي و الشعور بالحرية ، لأن فكرة الحرية عند هيجل تمثل الهدف المطلق السامي و النهائي.و كمثال على فكرته في نهاية التاريخ يستشهد هيجل بإمبراطورية نابوليون" فقد كانت إمبراطورية نابوليون في نظر هيجل تحقيق العقل على الأرض حتى عندما سيكون نابليون قد سقط فإن هيجل سيعد النظام الذي أقامه إكمالا لعمل الثورة الفرنسية و إنه سينتصر حتما في كل دولة حديثة."من كتاب: فكر هيجل، روجيه غارودي،ص72

في إعتقاد هيجل أن إكتمال الدولة و الوعي التاريخي للحرية تأسس مع مبادئ الثورة الفرنسية التي بعثت روحا حقيقية في العالم و تحقق مع امبراطورية نابليون، و لذلك نجد أن

هيجل قد عقلن الحاضر و قدم قراءة عقلية للتاريخ حيث ربطها بواقع الأحداث التي عايشها
دون تقديم قراءة إستشرافية لمستقبل العالمز

ثالثا: نهاية التاريخ عند كارل ماركس

ما يعرف عن ماركس أنه هيجليا مقلوبا، فقد أقلب الجدلية الهيجلية رأسا على عقب وقد
أرسى ماركس دائم المادية التاريخية ، فهي تدور حول حتمية الإنتصار التاريخي
للبروليتاريا و انهيار البورجوازية الرأسمالية، فقد إعتبر الحركة المادية للعالم و التاريخ
لابد لها أن تنتهي في مرحلة متكاملة و ثابتة من الناحية الإجتماعية و الإقتصادية ،فهذا
الأخير هو الذي يحدد وضعية الطبقات الإجتماعية من حيث الفقر و العنى و الضعف و
القوة ...و ما الثورة التي تفوقها الطبقة العمالية إلا حركية تاريخية تدعو إلى تغيير مصير
مرحلة بأكملها و إحداث إنقلاب تاريخي على الأيديولوجيا الرأسمالية، و يؤكد ماركس على
أن نهاية التاريخ تتحقق عندما تبلغ أهداف الثورة العمالية أكمل المراحل و هي الشيوعية و
ما الدولة إلا مرحلة من مراحل الوصول إلى الشيوعية . و في كيفية الوصول إلى الشيوعية
التي يكون معها نهاية التاريخ أوضح ماركس " أن مرحلة جديدة تبدأ بعد أن يوضع الإنتاج
على أساس اشتراكي، و يختفي استغلال الإنسان للإنسان إذ سيتم الإنتقال إلى المجتمع
الشيوعي، و هو يرى أن الإشتراكية ليست إلا مرحلة أولى من مراحل المجتمع الشيوعي،
وهي مرحلة قصيرة نسبيا للإنتقال من مجتمع قائم على استغلال طبقة لطبقة أخرى إلى
مجتمع لا طبقي كامل التطور." من كتاب، مدخل إلى المادية الجدلية، كورنفورت، ص283

بهذه الكيفية إذا تكون نهاية التاريخ و يتحقق الكمال الوجودي للإنسان و العالم كما يرى

كارل ماركس

رابعاً: نهاية التاريخ عند فرنسيس فوكوياما

تتضح رؤية المفكر الأمريكي فوكوياما في كتابه الشهير " نهاية التاريخ و الإنسان الأخير " بأن الديمقراطية الليبرالية هي المحطة النهائية لتطور الأيديولوجيا البشرية، كما أن فوكوياما يشير إلى أن الأحداث الصغيرة و الكبيرة المتعاقبة عبر تاريخ الشعوب لن تعرف التوقف و انما ما يتوقف هو تطور الفكر الأيديولوجي لأن التاريخ يمثل تجربة كل الشعوب دون استثناء، ينطلق فوكوياما من مقارنته الفكرية بين هيجل و ماركس: " كان هيجل و ماركس أيضا يعتقدان أن تطور المجتمعات البشرية ليس بلا نهاية، و لكنه يكتمل عندما تجد البشرية الشكل الإجتماعي الذي يشبع حاجاتها الأكثر عمقا و الأكثر أساسية و هكذا يكون المفكران قد وضعوا نهاية التاريخ... " من كتاب: نهاية التاريخ و الإنسان الأخير،

فوكوياما، ص24

إن نهاية التاريخ حسب فوكوياما لا بد ان تتجاوز حدود الجغرافيا و حدود الخصوصيات الثقافية و العرقية عن طريق ما انتجته التكنولوجيا و ماترتب عنه ما يعرف بالعولمة التي تحمي مبادئها الولايات المتحدة الأمريكية، و لذلك يضع صفات خاتم البشر الذي يعيش في ظل الدولة الدولة الديمقراطية الليبرالية متساويا مع الآخرين، ثمّة نزعة إنسانية للتوحد و الإنسجام الثقافي و الإجتماعي و الإقتصادي و إذا ما تم بلوغها يمكن التأكيد على أن التاريخ قد بلغ أعلى درجات الكمال و النهايات.